

## 476721 - ما الحكمة في تمكين إبليس من إغواء الناس؟

### السؤال

ما الحكمة من ترك الله سبحانه وتعالى الشيطان ليخدع الناس؟

لماذا ترك الله سبحانه وتعالى إبليس في الأرض ليغوي البشر بدلاً من معاقبته على عصيانه فوراً ليتم تأجيله ليوم البعث؟

### ملخص الإجابة

من مقتضيات الإيمان معرفة أن الله خلق كل شيء لحكمة وإن لم تظهر للناس، وأن الله تعالى لا يسأل عما يفعل، وأنه خلق إبليس ومكّنه من إغواء الناس لحكم بالغة. منها تمام الابتلاء والاختبار، وبيان حلمه وعفوه وغيرها من الحكم العظيمة التي تخفي على الناس.

### الإجابة المفصلة

أولاً:

من مقتضيات الإيمان، أن يكون عند المسلم يقين جازم بأن الله تعالى لا يفعل شيئاً ولا يخلق شيئاً إلا لحكمة، سواء ظهرت لخلقه أم لم تظهر.

قال ابن القيم رحمه الله: "دللت أدلة العقول الصحيحة والفتيا السليمة على ما دلَّ عليه القرآن والسنة؛ أنه سبحانه حكيم لا يفعل شيئاً، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمه بالغة لأجلها فعل" انتهى من "شفاء العليل" (2/115).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فليست أفعال الله وأحكامه لمجرد المشيئة؛ بل هي لحكمة بالغة اقتضت المشيئة"

وقال: "اعلم أن كل شيء علقه الله سبحانه وتعالى بمشيئته فإنه تابع لحكمته البالغة؛ وليس لمجرد المشيئة؛ لكن قد نعلم الحكمة؛ وقد لا نعلمه؛ قال الله تعالى: **(وَمَا تَشَاءُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا حَكِيمًا)**. [الإنسان: 30]" انتهى من "تفسير العثيمين / الفاتحة والبقرة" (1/295) و (3/352).

كما أن من كمال الإيمان وتمام الأدب مع الله عز وجل: عدم السؤال عما يفعل **(لَا يُسَأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسَأَلُونَ)**. [الأنبياء: 23]؛ ولذا فإن تعبيرك بقولك: "لماذا ترك الله سبحانه وتعالى إبليس ليغوي الناس..." لم يكن هو الأسلوب الأقوم والأصوب في طرح الإنسان ما يرغب بمعرفة الحكمة فيه من أفعال الله عز وجل.

قال الطبرى رحمه الله: "لَا سَائِلٌ يَسْأَلُ رَبَّ الْعَرْشِ عَنِ الدِّيْنِ يَفْعَلُ بِخَلْقِهِ مِنْ تَصْرِيفِهِمْ فِيمَا شَاءَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَإِعْزَازٍ وَإِذْلَالٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ حَكْمَهُ فِيهِمْ؛ لَأَنَّهُمْ خَلْقُهُ وَعَبِيدُهُ، وَجَمِيعُهُمْ فِي مَلْكَهُ وَسُلْطَانَهُ، وَالْحُكْمُ حَكْمُهُ، وَالْقَضَاءُ قَضَاؤُهُ، لَا شَيْءٌ فَوْقَهُ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَفْعَلُ،

فيقول له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟" انتهى من "تفسير الطبرى" (425/18).

وقال ابن القيم، رحمة الله: "مبني العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله: على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع. ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمم نبي صدق نبيها وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنـت، وما عرفـت من الحكمة عرفـته، وما خفيـ عنها لم تتوقفـ في انقيادـها وإيمانـها واستسلامـها، على معرفـته، ولا جعلـ طلـبـهـ من شأنـهاـ، وكانـ رسـولـهاـ أـعـظـمـ فـيـ صـدـورـهاـ مـنـ سـؤـالـهاـ عـنـ ذـلـكـ، كـماـ فـيـ الإـنجـيلـ: "يـاـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ؛ لـاـ تـقـولـواـ لـمـ أـمـرـ رـبـنـاـ، وـلـكـ قـوـلـواـ بـمـ أـمـرـ رـبـنـاـ؟".

ولهذا كانت هذه الأمة، التي هي أكمل الأمم عقولاً و المعارف وعلوماً، لا تسأل نبيها لم أمر الله بذلك، ولم نهـيـ عنـ كـذاـ، ولم فـعـلـ كـذاـ؛ لـعـلـمـهـ أـنـ ذـلـكـ مـضـادـ لـلـإـيمـانـ وـالـاسـتـسـلامـ، وـأـنـ قـدـمـ الإـسـلـامـ لـاـ تـبـتـ إـلـاـ عـلـىـ درـجـةـ التـسـلـيمـ، وـذـلـكـ يـوـجـبـ تعـظـيمـ الـربـ تـعـالـىـ وـأـمـرـهـ وـنـهـيـهـ، فـلـاـ يـتـمـ الإـيمـانـ إـلـاـ بـتـعـظـيمـهـ" انتهى من "الصـوـاعـقـ الـمـرـسـلـةـ لـابـنـ الـقـيـمـ" (4/1560).

ثانياً:

تلمس المؤمن للحكمة من أجل رفع مستوى إيمانه ويقينه لا بأس به، ولا زال أهل العلم يتلمسون الحكم في بعض الأحكام الشرعية والقدرة، فإن ظهر لهم شيء ذكروه من أجل زيادة الإيمان واليقين، وإن لم يظهر لهم شيء سلموا بأن الحكمة في حكمه تعالى الشرعي والقدري.

أما السؤال عن الحكمة للمنازعة والاعتراض، فهذا من أسباب الضلال وسوء الظن بالله تعالى.

قال ابن القيم رحمة الله: "فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أو فقهها العقل: كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته، لم يوهن ذلك انقياده ولم يقبح في امثاله، فالمعظم لأمر الله يجري الأوامر والنواهي على ما جاءت، لا يعلـلـهاـ بـعـلـلـهاـ توـهـنـهاـ وـتـخـدـشـ فـيـ وـجـهـ حـسـنـهـ، فـضـلـاـ عـنـ أـنـ يـعـارـضـهاـ بـعـلـلـ تـقـتـضـيـ خـلـافـهـاـ" انتهى من "الصـوـاعـقـ الـمـرـسـلـةـ" (2/1131).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمة الله: "أما السؤال عن الحكمة من باب الاسترشاد: فإن هذا لا بأس به؛ ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن حكمة بعض الأشياء، كما في قوله تعالى: **{يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج}**. [البقرة: 189]؛ والسؤال على هذا الوجه من باب طلب العلم الذي يزداد به المؤمن إيماناً، وعلمًا؛ وأما السؤال عن الحكمة بحيث لا يستسلم الإنسان للحكم، ولا ينقـدـ إـلـاـ بـمـعـرـفـتهاـ: فـهـذـاـ ضـلـالـ، وـاستـكـبـارـ عـنـ الـحـقـ، وـاتـبـاعـ لـلـهـوـيـ، وـجـعـلـ الشـرـيـعـةـ تـابـعـةـ لـاـ مـتـبـوعـةـ" انتهى من "تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة" (1/133).

ثالثاً:

فيما يخص الحكمة في تقدير الله عز وجل يجعل إبليس يسعى في إغواء الناس، فمما سبق نعلم أن هذا التقدير هو الحكمـةـ الـبـالـغـةـ التيـ قدـ نـعـلـمـ تـفـاصـيلـهاـ أـوـ لـاـ نـعـلـمـهاـ، وـفـقـدـ ذـكـرـ أـهـلـ الـعـلـمـ لـهـذـاـ التـقـدـيرـ حـكـماـ تـلـمـسـوـهـاـ مـنـ خـلـالـ النـصـوصـ الـعـامـةـ، مـنـ ذـلـكـ:

1- أن الله عز وجل جعل إبليس محنّةً يمتحن به خلقه، ليتبين الخبيث من الطيب من الناس في الدنيا ويمحص الصف، ويجاري العباد وفق أعمالهم، لا بمقتضى علمه بهم، ولو لا إغواء إبليس للناس لم يكن هناك تمحيص.

2- أن يكمل الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة الشيطان وحزبه، ومخالفته ومراوغته وإغاظته وإغاظة أوليائه، والاستعاذه به سبحانه من الشيطان، والالتجاء إليه سبحانه أن يعيذهم من شر الشيطان وكيده، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لا يمكن أن يحصل لهم بدون خلق الله له.

3- تحقيق فضيلة الصبر والمصابر والمجاهدة، وهي من معاني العبودية لله عز وجل التي تحصل بمدافعة إبليس ووسوسته، فلو لم يخلق الله عز وجل إبليس، فاتت هذه المراتب من العبودية من مجاهدة الشيطان.

4- إظهار بعض صفات الله من حلمه وحكمته وعفوه ومغفرته لمن يستزلهم الشيطان، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ول جاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم" مسلم (2749).

وقد ذكر الإمام ابن القيم، رحمه الله تعالى، كلاماً مفصلاً نافعاً، عن بعض وجوه الحكمة في خلق إبليس اللعين، ذكرنا بعضه فيما سبق، ومن أراد الكلام بتمامه فليراجع كتابه: "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق" (2/245) وما بعدها. وينظر أيضاً: "مختصر الصواعق المرسلة" (245) وما بعدها.

والله أعلم